

الوافي في الوفيات

علي بن محمد بن علي بن محمد نظامُ الدين أبو الحسن ابن خروف الأندلسي حضر من إشبيلية وكان إماماً في العربية محققاً مدققاً ماهراً مشاركاً في علم الأصول . صدّف شرحاً لكتاب سيبويه جليل الفائدة حمله إلى صاحب الغرب فأعطاه ألف دينار وشرحاً للجُمْل وكتاباً في الفرائض . وله ردٌّ على أبي زيد السُّهيلي وعلى جماعة في العربية . أقرأ النحو بعدة بلاد وأقام بحلب مدّة واختلّ عقله بأخـرّة حتّى مشى في الأسواق عُرياناً يادي العورة مكشوف الرأس . وبعضهم يقول : محمد بن علي والصحيح أنّه علي بن محمد كما أثبت هاهنا وإِعلم . وتوفّي سنة تسع وست مائة وقيل سنة خمس وست مائة . ملكتُ ديوان ابن بابك بخطّه في مجلّدة واحدة . وكتابته طريفة فيها مغربيةٌ ما في غاية الصحة والفاء بوحدة والقاف باثنتين على عادة المشاركة . وكان يلقّب بضياء الدين . وقال العلامة أثير الدين أبو حيّـان : هو قيسيّ قيزافيّ - بقاف أولى وفاء ثانية وبينهما ياء آخر الحروف وذال معجمة وألف - قرطيّ . وأنشد أثير الدين له في كأس :
أنا جسمٌ للحُميّـا ... والحُميّـا لي روحٌ .
بين أهل الطّـرفِ أغدو ... كلّ يومٍ وأروحُ .
وقال لي أنه مدح الملك الأفضل بن الملك الناصر ومدح الطاهر بن الناصر أيضاً . انتهى . قلت : وذكرتُ هنا ما للمشدّ سيف الدين بن قـزـل وهو ما يكتب على قفص المـسـمـوع :
أنا للطائر سـجـنٌ ... أقتني كلّ مـلـيح .
قُضِبَ البانِ ضلوعي ... وحمّامُ الأيـكِ روجي .
وذكرت أيضاً ما نظمته وهو ما يكتب على قدح ساذج :
كؤوس المـُدام تحبُّ الصفا ... فكُنْ لتساويرها مُبطِـلا .
ودعها سواذجَ من نقشها ... فأحسنُ ما ذُهِبَت بالطّـلا .
نقلتُ من خط شهاب الدين القوسي في معجمه قال : أنشدني لنفسه بدمشق في صبي جميل الصورة حبسه الحاكم :
أقاضي المسلمينَ حكمتَ دُكـمـاً ... أتى وجهُ الزمان بهـ عـبـوسا .
حبستَ على الدراهمِ ذا جمالٍ ... ولم تسجُنْهُ إذْ سلبَ الذُّفوسا .
قال : وكتب على يدي إلى قاضي القضاة محيي الدين بن الزكي يستقيله من مشارفة البيمارستان النوري وكان بوّابهُ يسمّى السيّد وهو في اللغة الذئب :
مولايَ مولايَ أجرنِي فقد ... أصبحتُ في دار الأسى والحُتوف .

وليس لي صبرٌ على منزلٍ ... بوَّابُهُ السَّيِّدُ وَجَدِّي خَرُوفُ .

قال : وأنشدني لنفسه وقد دعاه نجم الدين بن اللَّهْيَيبِ إلى طعامه فلم يُجِدهُ وقال :

ابنُ اللَّهْيَيبِ دعاني ... دعاءَ غيرِ نبيه .

إن سرتُ يوماً إليه ... فوالدي في أبيه .

قال : وأنشدني لنفسه فيه :

يا ابنَ اللَّهْيَيبِ جعلتَ مذهبَ مالكٍ ... يدعو الأنامَ إلى أبيكَ ومالكٍ .

يبكي الهُدَى ملاءَ الجفونِ وإِنَّما ... ضحكُ الفسادِ من الصلاحِ الهالكِ .

قال : وأنشدني لنفسه فيه :

لابنِ اللَّهْيَيبِ مذهبُ ... في كلِّ غَيٍّ قد ذهبُ .

يتلو الذي يُبصرُهُ ... " تَبَيَّنَتْ يدا أبي لهبٍ " .

قال : وأنشدني لنفسه ما كتبه إلى القاضي بهاء الدين بن شدَّاد في طلب فَروة خراف : .

بهاءَ الدينِ والدنيا ... ونورَ المجدِ والحَسَبِ .

طلبتُ مخافةَ الأنوا ... من نُعماك جلدَ أبي .

وفضلُكَ عالمُ أنِّي ... خروفُ بارعُ الأدبِ .

حَلَّيْتُ الدهرَ أَشْطُرَهُ ... وفي حَلَابٍ صفا حَلَّابِي .

قال : وأنشدني لنفسه في نيل مصر :

ما أعجبَ النيلَ ما أحلى شمائلَه ... في صفَّتيه من الأشجارِ أدواحُ .

من جنةِ الخلدِ فيَّاصُ على تُرْعٍ ... تهبُّ فيها هبوبَ الريحِ أرواحُ .

ليست زيادتُهُ ماءً كما زعموا ... وإنَّما هي أرزاقُ وأرواحُ .

قال : وأنشدني لنفسه لُغْزاً في باب المعمَّى :

واشربوا كلَّ صباحٍ لبناً ... واشربوا كلَّ أصيلٍ عَسَلاً .

واعكسوا ذاك إلى أعدائكم ... من قِسيِّ النَّبْلِ أو رُقْشِ الفلا .

قال : وأنشدني لنفسه :